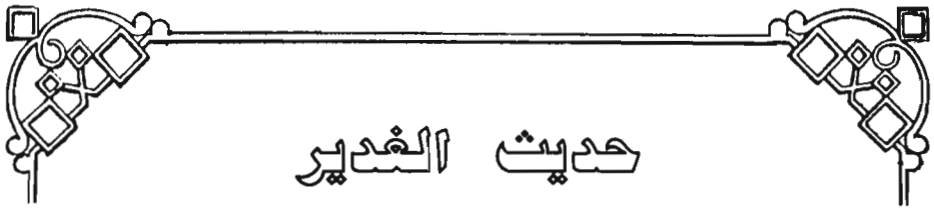

رواته كثيرون للغاية.. قليلون للغاية !

بقلم السيد عبد العزيز الطباطبائي
النجف الأشرف. العراق

روى حديث الغدير عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله نحو المائة وعشرين من الصحابة ، ولا أظنكَ تجد في السنة النبوية الشريفة كلها حديثاً آخر روتهُ هذه الكثرةُ من الصحابة بل ولا نصف هذا العدد . فحديث الغدير رواته كثيرون للغاية .

ومن جانب آخر نرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل ذلك في بيته ولا في مسجده ولا في قلة من أصحابه بل أعلنها صرخة مدوية في جمع لم تسعهم المدينة كلها في جمع ملئوا البيداء المترامية الأطراف في أكبر تجمع اسلامي شهده التاريخ على عهد النبوة .

قال ابن سعد في الطبقات : فأجمع (صلى الله عليه وسلم) الخروج الى الحج وآذن الناسَ بذلك فقدم المدينة بشر كثير يأتمون برسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته . .

وذكر نحو ذلك ابن حبَّان في الجزء الثاني من كتاب الثقات .

وهذا مأخوذ من حديث لجابر فيما أخرجه ابن ابي شيبة في المُصَنَّف قال جابر فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعملَ مثلَ عملهِ .

وفي حديث آخر لجابر أخرجه أبو يعلى في مسنده مرتين في الجزء الرابع والجزء الثاني عشر قال جابر : فنظرت بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي مدّ بصري والناس مشاة وركبان . . .

وقال ابن شاكر في الجزء الأول من عيون التواريخ : وحج معه (صلى الله عليه وسلم) من الصحابة مائة ألف ويزيدون حتى حج معه من لم يره قبلها ولا بعدها ونالوا بذلك نصيباً من الصحبة . .

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة في كلامه على حديث الغدير : (وكان معه صلى الله عليه وسلم من الصحابة ومن الأعراب ممن يسكن حول مكة والمدينة مائة وعشرون ألفاً وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة . .) .

فعندما نقيس عدد الصحابة الرواة لحديث الغدير وهم نحو مائة وعشرين صحابياً الى عدد الحضور ممن حضر وشهد وسمع ورأى تكون النسبة نسبة الواحد في الألف !! فرواة حديث

الغدير قليلون للغاية .

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكّد عليهم في غير موقف وفي موقفه هذا بالذات بقوله : ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

وقوله صلى الله عليه وآله : نضر الله امرءاً سَمِعَ مقالتي فوعاها ثم أدّاها الى من لم يسمعها . . فإن لم يكن قاله في موقفه هذا فقد كان قاله في خطبته في الخيف من منى ولم يمض عليه سوى بضعة أيام .

ولكن لما تُوفي (صلى الله عليه وآله) ولم ينفّذ ما أراده كفّ الناس عن رواية هذا الحديث وكفوا عن رواية أمثاله بل فُرِض التعتيم على رواية فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه ومُنِعَ الناس صراحة عن التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

بل أُمر الناس بسبِّ أمير المؤمنين عليه السلام وعُرِضوا على سبه وقد كان عليه السلام أخبرهم بذلك قبل وقوعه فقال : ألا أنكم ستُعرَضون على سَبِي والبراءةِ مني أما السبُّ فسبوني . .

فتناسى الناس كل مزية لعلي فضلاً عن حديث الغدير والنص على استخلافه فهذا البخاري يحدثنا في تاريخه الكبير عن سهم بن حُصَين الأسدي أنه حج مع صاحب له يسمى عبد الله بن عَلْقمة ، وكان سَبَّابةً لعلي دهراً (لم يقل كان يَسُبُّ عليّاً وإنما قال : وكان سبابةً لعلي دهراً) ولما دخلا مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قال سهم بن حُصين لصاحبه هل لك أن تُحدثَ عهداً بهذا الرجل (يعني أبا سعيد الخِدْري) فذهبا اليه يقول سهم بن حصين : قلت لأبي سعيد : هل سمعت لعلي منقبة ؟! ترى أن الأمر أدى الى هذه الحال ، والصحابة بعد متوفرون فيسأله ألعليٌّ منقبةٍ !!

فأجابه أبو سعيد : نعم ، إذا حدثتُك فسلِ المهاجرين والأنصار وقريشاً . قام النبي صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم فأبلغ فقال : ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم . إِذْنُ يا علي فدنا فرفع يده ورفع النبي صلى الله عليه وسلم يده حتى نظرتُ الى بياض إبطيهما فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

فقال عبد الله بن عَلْقمة : أنت سمعت هذا من رسول الله ؛ صلى الله عليه وسلم ؟! قال ابو سعيد نعم ، وأشار الى أذنيه وصدره وقال : سَمِعَتْهُ أُذُنايَ ووعاهُ قلبي .

وإبداؤهم التعجبَ الشديدَ من سماع هذا الحديث وتأكدُهم منه : أنت سمعت هذا من رسول الله ؟ ومبالغة أبي سعيد في الجواب كل ذلك لأنهم يفهمون منه النص على الاستخلاف ويتعجبون مما حدث بعد ذلك !

وفي حديث أخرجه النِسائي في السُنن الكبرى وفي خصائص علي عليه السلام عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم في حديث الغدير وفيه : فأخذ بيد علي فقال : من كنت وليه فهذا وليهُ

فقلت لزيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : ما كان في الدوحات أحدٌ إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه .

ويوم الدوح دوحِ غدير يرخم أبان له الولاية لو اطيعا
ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أرَ مثله حقاً أضيعا

فترى أبا سعيد الخِدري يقول ان حديث الغدير يعلمه الناسُ كلهم : فسل المهاجرين والأنصار وقريشاً . فلم يستثن ممن كان حياً في ذاك العهد أحداً فكلهم سمعوا هذا الحديث .

وقريش أما يقصد بني أمية بالذات أو يقصد أهل مكة كلهم ممن لم يهاجروا الى المدينة وأخرج حديث سهم بن حصين عن أبي سعيد الخدري كلٌ من الحافظينَ ابن عقدة في كتاب الولاية المحاملي في أماليه ، وأخرجه ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخه برقم ٥٦٣ و٥٦٤ من طريقهما بلفظ أطول مما رواه البخاري في التاريخ الكبير ولفظ البخاري أوجز وأنا دمجت الألفاظ وربما زدت زيادات توضيحية ومن شاء فليراجع لفظ البخاري في التاريخ الكبير ج ع ص١٧٣ .

وأرى أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكتف بقوله : من كنت مولاه فعلي مولاه حتى أخذ بضَبْعِه ورفعه أعلى ما أمكنه حتى بانَ بياض إبطيهما ليراه كلُّ الملأ الحضور كما في حديث زيد بن أرقم ما كان في الدوحات أحدٌ إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه .

فعل ذلك صلى الله عليه وآله اهتماماً بأمر الخلافة واحتجاجا على الامة لئلا يؤلونه فيما بعد فيقولوا اراد بقوله من كنت مولاه فعلي مولاه أي أن مولاه عال من كنت أنا مولاه فله مولى عال ، وليس هذا في شأن أحد .

كما فعلوا ذلك في قوله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها قالوا أي عالٍ بابُها ! هذا ما وسعنا الإفاضةَ فيه بشأن رواةِ حديثِ الغديرِ من الصحابة .

وأما في طبقة التابعين فقد استمر التعتيم مخيماً على حديث الغدير وعلى غيره من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه حتى إذا كان في أُخْرَيَاتِ حياته عليه السلام أحْيا رمائم هذا الحديث واستخرجه من تحت الأنقاض المتراكمة عليه فجمع المتواجدين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ بالكوفة وجمعَ الناس وناشد الصحابة بحديث الغدير وقال : ناشدت الله من سمع رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . فليقم وليشهد ولا يشهد إلا من رآه وسمعه فقام ثلاثون من الناس كما في مسند أحمد وفي بعض الروايات فقام إثنا عشر بدرياً ولاتنا في بين الروايات فالشهود ثلاثون اثنا عشر منهم كانوا من أصحاب بدر .

ولكن يبدو من الروايات ان المناشدة قد تكررت منه عليه السلام فتارة ناشدهم في الرَحبة رَحبةِ مسجد الكوفة وفي بعض الروايات أنه عليه السلام ناشدهم من على المنبر فقام من هذا

الجانب ستة ومن ذاك الجانب ستة والمناشدة من على المنبر لا تكون إلا في داخل المسجد .

ولكن بقي التعتيم والخوف من إذاعة أمثال هذا الحديث ساري المفعول حتى هذا الموقف نعم شهد قوم وكتم آخرون ! فدعا عليهم فاستجاب الله دعاءه فيهم فكل منهم أُصيب ببلية وآفة .

واعجباه هذا أمير المؤمنين عليه السلام في عهد خلافته يناشد الناس بحديث الغدير وهو خليفة وإمام ورئيس دولة فيكتمهُ البعض على علم منه ولا يؤدي الشهادة فلو كان ناشدهم به قبل ذلك يوم السقيفة أليس كان يُجابَه بالإنكار والرد والتكذيب أو كان يتناوله السلب والايجاب والنفي والاثبات فيزيدُ تنازع على ما كان من منازعات فالأجدر به هناك هو السكوت الى ان يجد جواً ملائماً فالسكوت لا يدل على الموافقة في الممارسات .

ومهما كان فأمير المؤمنين عليه السلام أحيا بمناشداته حديث الغدير وبرز بعد الكتمان وظهر بعد الإخفاء وفشا الحديث في التابعين ورووه لمن بعدهم .

هذا أبو اسحاق السبيعي يقول في روايته لحديث الغدير : حدثني سعيد بن وهب وزيد بن يُثَيع وعمرو ذو مُر ومن لا أُحصي أن علياً أنتشد الناس في الرحبة . .

فأمير المؤمنين عليه السلام هو أوّل من احتفل بحديث الغدير وجمع الناس لاحياء ذكرى الغدير وهو الإمام والقدوة والرائد والأسوة يلزمنا متابعته في الاحتفال بالغدير في كل عام وفي كل مكان .

والكوفة أول بلد أقيم فيه احتفال الغدير فكان الأولى والأجدر بمهرجان الغدير أن يقام على مقربة منها يقام في النجف الأشرف بلد أمير المؤمنين عليه السلام فالبلد بلده واليوم يومه وكان أول الاحتفالات أقيم بالقرب منه .

أعاد سبحانه وتعالى الى النجف الأشرف كيانها وعزها لتستمر مشعلاً في طريق الاسلام ومناراً للهدى ومدرسة كبرى للعلوم الاسلامية ومركزاً من مراكز اشعاع الفكر الاسلامي ورحلة لطلبة العلم وموئلاً للعلماء .

وأُهيب بمناشدي الوحدة الاسلامية أن يسعوا قبل كل شيء في وضع حد لهجمات خصومنا فلا زال في تصاعد وتزايد وفي السنين الأخيرة نشروا مئات الكتب في مهاجمتنا والرد علينا وتشويه سمعتنا يكيلون لنا الاتهامات ويفترون علينا الأقاويل وينشرون ملايين منها بشتى اللغات ولا وازع ولا دافع والى الله المشتكى وهو المستعان وآخر دعوانا قول رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين عليه السلام ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله .